قصائد

سامي مهدي

«إلى يحيى عيّاش»

وصية عام الفيل

... ويا يحيى، أكانَ العالم
الموعودُ إلاّ ما نُسمّيهِ؟
ونرسمهُ بأيدينا، ونَبْنيه؟
أكانَ هناك غيرُ الحلمْ؟
أكانَ العالم الموجودُ غيرَ السُّمّ؟
وتحلمُ أنتَ بالأشجارْ
إذا أَرْخَتْ ذوائبَها على الأنهارْ..
وتحلُم أنتَ بالبحر المديدِ، بعودةِ
الصيّادِ، بالبئر القديمةِ، بالغيومِ
الزرقِ، بالهضباتِ، بالأعشابِ،
بالأحجارْ..
وبالأطفالِ يقترعونَ مِنْ مَرَحٍ على
الأقمارْ..
ويا يحيى ونحن شهودُ عامِ الفيلْ
ونحنُ رواةُ ما حَذَفوا من القرآنِ
والإنجيلْ
وما تركوهُ
أو وهبوه
أو باعوهُ للتجّارْ.
ويا يحيى طَمَتْ، وتَهَوَّدَتْ،
فالتاثتِ الأنسابُ، صارتْ كُلُّها
أبناءَ إبراهيمَ، حتّى نَسْلُ
إسماعيلْ
ولكنْ ليسَ إسماعيلُ إسماعيلَ
حين تُبارَكُ الأعراقْ
فَثَمَّةَ، دائماً، إسحاقْ
وَثَمَّةَ، دائماً، ما يصطفيهِ له من
الأرَضين والأرزاق.
ويا يحيى احتفظْ بقميصِكَ
المنقوعِ بالدمِ والغبارِ، ولا تُفرّطْ
بالحكاياتِ القديمةِ حينَ تُلقى في
ظلام الجبّ
فَرُبَّ حكايةٍ تنشَقُّ، مثل سحابةٍ
حبلى، ويفاجئُنا بها سرٌّ من
الأسرارْ
ويا يحيى خُذِ الكتابَ بقوّةٍ،
واصدعْ،
وَدَعْ عبدَ اللطيفِ وما يقولُ
لنشرةِ الأخبارْ
ويا يحيى ادّهِنْ بالزيتِ والبارودِ
واخرجْ
وابترِدْ بالنارْ...

عابر بن أبي عابر

لا لستُ شيئاً،
لستُ شيطاناً،
ولا مَلَكاً،
ولا بطلاً،
ولا متنافساً في لعبةٍ،
أمّا حياتي، إنْ سألتَ،
فما حياتي؟
صورةٌ تمشي
وبهلولٌ ينامُ

يجوعُ
يأكلُ..
ليس لي في الأرض مرساةٌ
ولا حُلُمٌ
ولا أنثى أراودها،
ولا ظلٌّ ورائي أو أمامي،
ليسَ لي وجهٌ فأعرفُه كما أبغي،
ولا شيء أسمّيه حياتي.
لا .. لستُ شيئاً،
لستُ إلاّ ما سيصبح ذاتَ مَوْتٍ
من رفاتي.

ظل

يقفُ الظلُّ إزائي:
نصفُهُ منّي،
ونصفي من ردائي.
أيها الظلّ: أَعِرْني قدميكْ،
عَلّني أَبدأُ من صِفْرٍ سواكْ.
عَلّني أخرج من نفسي،
وأَنسى مَنْ ينادونَ هناكْ.
أيّها الظلُّ: أهذا ما لديك؟
عَفَنُ الأرضِ، وبردُ الظلمات؟
أيها الظلُّ: لقد كانتْ حياة،
ثمَّ دارتْ دورةً أخرى،
وما هانتْ عليك.
ذلك الظلّ المرائي
ذلك اللصّ الذي يأكل ممّا في
إنائي
لم يَزلْ يَزحفُ قُدّامي
وَيَنْسَلُّ ورائي:
نصفه منّي
ونصفي من ردائي

غيوم

الغيومُ التي تتمرّغُ فوقَ حرير
الرياح
كأنثى مُدَلّلة تتأهبُ للحبّ..
تلك الغيومْ،
تتلوّنُ زرقاً وصفراً وحمراً،
وفي لحظةٍ تستحيلْ
إلى حائطٍ من دموعٍ وإضمامةٍ
من جراحْ.
.. وكذلك هذا المدى المتثائبُ،
هذا الشعاعُ المبلّلُ،
هذا الجناحْ.

الضحك

ضَحِكٌ يتفجّرُ في جَنَباتِ
الشوارعِ،
في الباصِ،
في واجهاتِ الدكاكينِ،
في بابِ بيتٍ عتيقٍ
ونافذةٍ تتصايح أضواؤها..
ضَحِكٌ يتدلّى مِنَ الشُرُفاتِ
وأعمدةِ الكهرباءِ
وقد يتواثَبُ فوق السلالِمِ،
أو يَتسلّقُ بُرْجاً،
وقد يستريحُ على دَكّةٍ في فَمِ
السوقِ،
لكنّهُ يتفجّرُ ثانيةً
في صهيلِ فتى عابرٍ،
وما بين ساقيْ فتاةٍ تروّضُ
طائرَها،
وأخيراً تصارعه امرأةٌ نضجت
في الفراشِ
فيصرعها وهما يضحكانْ.

بغداد